

البشارة السارة

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. أمين

رنّ التلفون فرفعتُ السماعة لأتحدث مع المتصل. إنه أحدُ أصدقائي الكاثوليك، الدكتور جريس. بعد التحية والسلام، طلبَ مني تقديمَ محاضرة بعد أسبوع من زمن الاتصال. فسألته: من هم الجمهور الذين سأخاطبهم؟ فقال لي: إنهم مجموعة من المسيحيين والمسلمين، وهم اصدقاءُ لبيت اللقاء. وسيأتي أصدقائنا وأحبائنا من الديانة الأخرى من جامعة الخليل ومناطق أخرى. وهم شيوخُ وأساتذة جامعات وقادة في المجتمع الفلسطيني. وسألته مستفسراً: وما هو موضوع المحاضرة؟ ففوجئت إذ قال لي: إن الموضوع هو البشارة السارة في القرآن والإنجيل. ونريد منك أن تخبرنا عن البشارة السارة في الإنجيل بينما يتحدث البروفيسور الدكتور محمود ابو كته عن البشارة في القرآن. بالرغم من برنامجي المكتظ، شعرت أن الدعوة من الله وأنها فرصة رائعة لتكوين صداقات جديدة وللتعبير عن جوهر إيماني المسيحي. وفيما يلي: أكتب ما شاركت به في هذا اللقاء.

يؤمنُ المسيحيون أن البشارة السارة هي الإنجيل. وعندما نسالُ ما هو الإنجيل، تتعدّد الأجوبة. وإذا قدمَ الوحي المقدسُ الإنجيلَ الواحدَ من منظار أربعة رجالٍ (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) عرفوا يسوع المسيح وتكلموا بوحى الروح القدس، فكيف يستطيعُ إنسانٌ واحدٌ أن يصفَ هذا الكنز العظيم. أدعو الله أن يغفرَ تقصيري ويوفقني في شرحي الموجز لعقيدةٍ يحتاجُ شرحها إلى مئاتٍ وربما ألوفِ الصفحات. واستمبحكم عذراً إن أخفقتُ في ذكر بعض القضايا المهمة أو في إبراز تفاصيلٍ جوهريةٍ وجبَ ذكرها. وأشكرُ تفهّمكم مسبقاً إذ اعطيتموني الفرصة للتعبير عن إيماني بالإنجيل بكل صراحةٍ وباحترامٍ خاصةً لمن لا يتفقُ معي في الرأي أو من لا يُشاركني نفسَ الإيمان. فيما يلي، سأقدمُ مفهومي للإنجيل في خمس نقاطٍ.

أولاً، سأحدثُ عن التعريفِ الاشتقاقي (Etymology) الذي يستخرجُ المعنى من التركيب اللغوي لكلمة إنجيل.¹ ويؤكد هذا المنحى أن كلمة إنجيل يونانية الأصل،

¹المزيد من المعلومات عن مفاهيم الاشتقاق في اللغة العربية، راجع سالم الخماش، "فقه اللغة" جامعة الملك عبد العزيز بجدة/كلية الآداب والعلوم الإنسانية. [تم زيارة الموقع في 20 آذار 2012]. موجود على الشبكة العنكبونية وعلى العنوان التالي: www.angelfire.com/tx4/lisan/fiqhlughah/Part_3.htm#_ftnref6

وأنها تنقسم إلى كلمتي "يو" و"أنجليون". الكلمة الأولى معناها صالح أو سار، أما الكلمة الثانية فمعناها خبر أو إعلان. وهكذا يكون الإنجيل الخبر السار. ونجد الكلمة اليونانية إنجيل أو إحدى مشتقاتها نحو 120 مرة في العهد الجديد ونجدها أيضا في النسخة السبعينية اليونانية للعهد القديم.² وهي ترجمة للكلمة العبرية "بسر" (בשר) المكافئة للكلمة العربية "بشر" التي تدل على مشاركة الخبر السار. وتختلف القواميس العربية في تعريف كلمة إنجيل إذ يعتبرها المعجم الوسيط "كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام"، وكلمة يونانية معناها البشارة.³ أما بعض القواميس الأخرى فتظن أن كلمة إنجيل عربية الأصل، ربما من الفعل العربي "نجل"، والنجل هو النسل.⁴ وبالرغم من تعدد التفسير المتعلقة بكلمة "إنجيل" بين متكلمي لغة الضاد إلا أن المسيحيين العرب يتفقون أن الكلمة يونانية الأصل وأنها تعني الخبر السار. وهو الخبر السار الذي أتى بعد سيطرة الأخبار غير السارة التي سأحدث عنها لاحقاً. أما الآن فسأشرح المفهوم الأدبي لكلمة إنجيل.

ثانياً، تُستخدم كلمة إنجيل بالمعنى الأدبي. فكما تعلمون نجد نمطاً أدبياً محدداً للرسالة وللقصّة وللمقالة. فنجد في القصّة المكان والزمان والأبطال والحبكة وغيرها من المكونات التي تكون الأدب القصصي. كذلك أيضاً نجد عناصر محددة في الأدب الذي يدعى إنجيل. فما هو هذا النمط الأدبي؟ ليس الإنجيل أسطورة أو سفرًا جليانياً أو كتاب تاريخ مع أنه لا يخلو من الحقائق التاريخية. وليس الإنجيل سيرة حياة السيد المسيح إذ لا نجد فيه معظم تفاصيل حياته خاصة فترة المراهقة وسنوات العشرينات.

²G. Goldsworth. "Gospel," in New Dictionary of Biblical Theology (ed. T. Alexander, Brian Rosner, D. A. Carson, and G. Goldsworth; Downers Grove: Intervarsity, 2000), 521 – 524.

³إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد أحمد. المعجم الوسيط (القاهرة: دار المعارف، 1972)، 29. راجع أيضاً جبران مسعود. الرائد: معجم لغوي معاصر (بيروت: دار العلم للملايين، 1986)، 253.

⁴"الإنجيل"، في الباحث العربي: قاموس عربي عربي. بدون صفحات [تم زيارة الموقع في 20 آذار 2012]. موجود على الشبكة العنكبوتية وعلى العنوان التالي: www.baheth.info/all.jsp?term. ونجد كلمة إنجيل في القرآن في عدة مواقع في سور آل عمران والمائدة والأعراف والتوبة والفتح والحديد (3: 3، 3، 48، 65؛ 5: 46، 47، 66، 68، 110؛ 7: 157؛ 9: 111؛ 48: 29؛ 57: 27). للمزيد من المعلومات راجع صفحة القرآن الكريم. بدون صفحات [تم زيارة الموقع في 20 آذار 2012]. موجود على الشبكة العنكبوتية وعلى العنوان التالي: www.holyquran.net.

في ذات الوقت تُسهب الأناجيل في الحديث عن آخر أسبوع من حياة السيد المسيح وتستخدم أكثر من ثلث حبرها لتشرح لنا أحداثاً صلبه، وموته، وقيامته بالتفصيل وبدقة. وعندما ندرس العهد الجديد نكتشف المكونات التي ارتبطت بأدب الأناجيل عند المسيحيين. فنقرأ، مثلاً، في سفر أعمال الرسل وصف الرسول بطرس للإنجيل إذ يقول:

بالحق أنا أجد أن الله لا يقبلُ الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبولٌ عنده، الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل. أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل بعد المعمودية التي كرر بها يوحنا. يسوع الذي من الناصرة كيف مسح الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه. ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي أورشليم، الذي أيضاً قتلوه معلقين إياه على خشبة. هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم. لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات. وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات. له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا (أع 10: 34 – 43).

بعض العناصر التي نطق بها الرسول بطرس بوحى الروح القدس هي: معمودية يوحنا المعمدان، خدمة السيد المسيح وتحريره للناس الذين تسلط عليهم الشيطان، وموته، وقيامته، وظهوره للتلاميذ، والدينونة، والكراسة بغفران الخطايا. وجود هذه العناصر ضروري للأدب المدعو "إنجيل". ونجد هذه العناصر في كل إنجيل من الأناجيل الأربعة.

ثالثاً، سنتحدث الآن عن الإنجيل بحسب المعنى الكتابي.⁵ يؤمن المسيحيون أن الإنجيل متجذر في تعاليم العهد القديم والجديد. فلقد شكّل العهد القديم التوقعات المتعلقة بتفاصيل الخبر السار وأبرز العهد الجديد تحقيق المسيح وتتميمه لما بشر به الأنبياء. اسمحوالي أن أوضح هذه النقطة المهمة. بعد أن عصى آدم وحواء وصية

⁵ يدرس اللاهوت الكتابي اعلان الله وتدرجه وتطوره في الكتاب المقدس منذ سقوط آدم وحواء في الخطيئة وعبر العهدين القديم والجديد. للمزيد من المعلومات حول اللاهوت الكتابي، راجع

D. A. Carson, "Systematic Theology and Biblical Theology," in New Dictionary of Biblical Theology (edited by T. Desmond Alexander, Brian Rosner, D.A. Carson, Graeme Goldsworthy; Downers Grove: Intervarsity, 2000), 89 – 104.

الله وأكلوا من الشجرة التي حرّمها القديس دخلت الخطيئة والبؤس والخصام واللعنة والعبودية واللثامة والموت إلى العالم. وصاحب هذا الكابوس بصيص أمل بمجيء رجل من نسل المرأة يسحق رأس الشيطان ويدمر مملكته (تك 3: 15؛ غل 4: 4). وتزايد الرجاء بالنسل الموعود عندما وعد الله خليله إبراهيم قائلاً أن جميع قبائل الأرض ستبارك بواسطة نسله (تك 12: 3). وطال الرجاء وتطورت التوقعات وأعلمنا الأنبياء أن مدمر الشيطان والعبودية والفقر والظلم والموت سيولد من عذراء (اش 7: 14؛ لو 1: 26 – 27، 30 – 31) في بيت لحم (مي 5: 2؛ لو 2: 4 – 7) وسيصبح لاجئاً في مصر (هو 11: 1؛ مت 2: 14 – 15) وسيدخل ركباً على جحش تعبيراً عن السلام (زك 9: 9؛ مر 11: 7 – 11)، وسيرفضه أهل بيته ويقودوه كشاة إلى الذبح (اش 53: 3؛ يو 1: 11) وسيخونه صديقه (مز 41: 9؛ لو 22: 47) ويبيعه بثلاثين من الفضة (زك 11: 12 – 13؛ مت 26: 15؛ 27: 5 – 7) وسيصلب مع الأشرار (اش 53: 12؛ مر 15: 27 – 28) وستنقب يده (زك 12: 10؛ يو 20: 27) وسيقترع الجنود على ثيابه (مز 22: 8؛ مت 27: 35) ولن تكسر عظامه (مز 34: 20؛ يو 19: 32 – 36) ولكنه سيطنع في جنبه (زك 12: 10؛ يو 19: 34) وسيقبر في قبر غني عند موته (اش 53: 9؛ مت 27: 57 – 60) وسيقوم من الأموات (مز 16: 10؛ مر 16: 6 – 7).⁶ تحققت هذه التوقعات في السيد المسيح وأبرز العهد الجديد ورسله أن فجر ملكوت الله بزغ عندما وُلد المسيح وخدم في فلسطين. فالإنجيل هو المسيح إذ به وبموته على الصليب تصالح الناس مع الله الذي غفر خطاياهم ومنحهم بركاته ورضى عنهم. وبحسب الإنجيل لن يقبل الله أعمالنا الصالحة بدون السيد المسيح. فهو وحده الصراط والطريق إلى الحياة الأبدية والعلاقة السليمة مع الله. الإيمان بالمسيح ربا ومخلصاً هو طريق حصول الإنسان على الطبيعة الجديدة التي بدونها لا نستطيع أن نكون في محضر الله. فكما أن السمكة لا تستطيع أن تطير وتعيش في الهواء لأنها تفنقر إلى الطبيعة الملائمة للهواء، يفنقر البشر إلى الطبيعة الملائمة للتواجد في محضر الله القديس. ويحصل البشر على الطبيعة الجديدة بواسطة الإيمان بالمسيح وعمل الروح القدس وخدمة الكنيسة. بكلمات أخرى، لا تخلصنا أعمال برنا بل عمل المسيح من أجلنا وفينا. فنحن خطاة ليس لأننا نخطئ، بل نخطئ لأننا خطاة، أي أننا نولد بطبيعة الخطيئة ونحتاج إلى طبيعة جديدة يُنعم الله بها علينا.

⁶H. Wayne House. Charts of Christian Theology and Doctrine (Grand Rapids: Zondervan, 1992), 60 – 61.

رابعاً، سأحدثُ الآنَ عن الإنجيل بحسب المعنى اللاهوتي.⁷ يُظهر بعضُ المسيحيين الإنجيلَ بصورة جزئية. فمن ناحية يتحدثُ بعضُ المبشرين عن يوم الحساب عندما نقف أمامَ الله عاجزين عن تبرير نفوسنا. فكلُّ أعمالنا لن تقيدنا أمامَ الله القدوس الكامل الذي لن يرضى عنا إن وجد فينا إثمٌ واحدٌ.⁸ فقبولنا ليسوع المسيح مخلصاً ورباً سيقينا نارَ جهنم ويمنحنا رضى الله عنا. وهكذا يتعاملُ الإنجيلُ بحسب هذا المفهوم مع مصيرنا الأبدي ولكنه يهْمشُ مساهمة الإنجيل للفترة التي تمتد من يوم إيماننا بالمسيح إلى يوم وفاتنا. ومن ناحية أخرى يركز بعضُ المسيحيين على فترة حياتنا على الأرض منادين بالإنجيل الإجتماعي. فلقد ركزوا على قضايا العصر من منظار الأخلاقيات المسيحية. وأكدَّ روشنبوش أحدَ أعلام هذا الفكر في كتابه لاهوت الإنجيل الإجتماعي أنَّ الله لا يريدُ أن يفديَّ الفردَ ويزيلَ خطيئته فحسب بل يرغبُ أيضاً في تخليص المجتمع البشري والقضاء على الخطية المتجذرة في المؤسسات البشرية.⁹ لهذا يجبُ على المسيحيين مساعدة الفقراء والمظلومين ومحاربة الإجحاف بكل صورته. وبسبب التنبير على أهمية العمل الإجتماعي نمت الاهتمامُ بلاهوت التحرر، وهو يختلف عن اللاهوت الليبرالي أو اللاهوت المتحرر من قناعات الكنيسة التي التزمت بها عبر العصور. ولقد أكدَّ لاهوت التحرر الفلسطيني شرَّ الاحتلال وأهمية مساهمة الكنيسة في محاربة ظلم الإمبريالية والصهيونية.¹⁰ ولا شك أن الإنجيلَ مركزه السيد المسيح ومملكته على الأرض وفي السماء. ويصلي المسيحيون ليأتي ملكوتك كما في السماء كذلك على الأرض طالبين

⁷ اعترف أن المعنى الكتابي واللاهوتي مرتبطان ولا يمكن فصلهما. فجميعنا نقرأ النص من عدسة شكلتها ظروفنا الإجتماعية والسياسية والاقتصادية. ويشكل لاهوتنا طرائق تفسيرنا للنص ويحدد النصوص التي نقبلها. بايجاز، لقد فصلت المعنى اللاهوتي عن المعنى الكتابي لأهداف تنظيمية وليس استناداً إلى قناعة لاهوتية.

⁸ أحد أمثلة هذا التيار الفكري هو بيل برايت الذي كتب الحقائق الروحية الأربعة. وهي مواد تبشيرية يستخدمها ملايين المسيحيين حول العالم. المبشر المعروف دوايت مودي يُعتبر مثلاً آخر.

⁹ Walter Rauschenbusch. Theology for the Social Gospel (New York: Abingdon Press, 1917), 5.

¹⁰ للمزيد من المعلومات راجع نعيم عتيق، الصراع من أجل العدالة: لاهوت التحرر الفلسطيني (بيت لحم: دار الكلمة، 2002)، 13 – 14.

أن تسودَ محبةُ المسيح وعدالته وخلصه. فالمسيحُ هو بذرةُ الإنسانية الجديدة ومفتاحُ سيادة ملكوت الله على الأرض وهو الدربُ إلى الخليقة الجديدة الخالية من لعنة الخطيئة. ولقد بزغ فجرُ الخليقة الجديدة بقيامة المسيح وستكتمل بمجيئه الثاني. وعندما نتأمل في عمل المسيح وحياته يختفي الفصلُ بين الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وعلاقة الإنسان بالله. فجميعها جزءٌ لا يتجزأ من مملكة المسيح الذي يسودُ على الكل.

خامساً، سأحدثُ الآنَ عن الإنجيل من منظورِ شخصي.¹¹ وُلدت وكبرتُ في مدينة القدس في عائلةٍ مسيحيةٍ. وسكنتُ حارة النصارى عند المرحلة الثامنة من درب الآلام. وكنتُ أرى يومياً جموعاً من المصلين والحجاج يحملون الصليبَ ويرنمون بلغاتٍ مختلفةٍ. تعلمتُ الكثيرَ من الأشياءِ الحسنة في كنيسةٍ ومن أهلي ومجتمعي، إلا أنني ضللتُ الطريقَ حينَ أصبحتُ في سن المراهقة. وأفسدتُ المعاشراتُ الرديئةُ والقراراتُ الخاطئةُ حياتي. وضللتُ الطريقَ وسلكتُ دربَ الخطيئة حتى فعلتُ أموراً أخلُ من ذكرها. وعندما دخلتُ جامعة بيت لحم لدراسة الكيمياء، ابتعدتُ أكثرَ عن طريق الله ورفضتُ وجوده معتقداً أنَّ الإلحادَ أفضلُ فلسفة تفسرُ ما يدورُ في الحياة. واعتبرتُ الدينَ أفيونَ الشعوبِ وأنه طريقُ الإنسان الضعيفِ.

لم يتركني الله بالرغم من خطاياي الكثيرة. وفي سنة 1986 بينما كنت نائماً في منزلي في القدس، حدثتُ معي أمرٌ شديدُ الغرابة إذ استيقظتُ من النوم على أصواتِ أجراس الكنائس في مدينة القدس القديمة. وعندما فتحتُ عيني شعرتُ بهواءٍ يدخل جسدي ويربطني. لم استطع أن أحرك يديَّ أو رجلي ولم استطع أن أصرخ. لم أعرف ما الذي يحدثُ فأنا لست ميتاً ولست نائماً. وحاولتُ أن أحرك نفسي مستخدماً كلَ الأفكار الفلسفية والسيكولوجية التي تعلمتها. ولكنني فشلتُ في تحرير نفسي. وبعد ساعتين من المحاولات، قررتُ أن أرفع صلاة الله. قلتُ: "يا ربُّ إن كان هذا الأمرُ منك ففكني. وإن فككتني أعدك بأن أبحثُ عنك". بعد هذه الصلاة القصيرة استطعتُ التحرك مرةً أخرى. فنهضتُ من الفراش وشربتُ قليلاً من الماء.

بسبب هذا الإختبار، انهارَ اعتقادي القائلُ بعدم وجود الله، ودخل قلبي خوفاً من الاماكن المظلمة. لم أشارك أحداً عن اختباري ولكنني بدأتُ بالاعتزال عن كل

¹¹ للمزيد من المعلومات راجع حنا كتناشو، أنا هو... فمن أنت؟ (القدس: الخدمة المتجولة، 2007).

النشاطات التي تعترض على وجود الله. وكنت باستمرار أتذكر ما حدث معي. فكل مرة أسيرُ فيها في طريقٍ مظلمٍ كان الخوفُ ينتابني وكنتُ أتذكرُ ما حدث معي. بدأتُ أبحثُ عن الله. فزرتُ كنيسةً في نفس الحارة التي كنتُ أقطنُ فيها. بدأ الواعظُ بالحديث عن السيد المسيح وعن الإنسان الخاطيء. فأدركتُ أنني خاطيءٌ وأني بحاجة إلى المسيح المخلص. في ذات الوقت لم أكن مقتنعا بالمسيحية. صليت في قلبي قائلا: "يا رب أعلم أنني خاطيء. أعطيك قلبي ولكنني لا أستطيع أن أعطيك عقلي". في نفس الاسبوع، شاءت الحكمة الإلهية أن تخاطبني السماء بثلاثة أحلام. شاهدتُ في الحلم الأول شخصا يسيرُ في طريقٍ مستقيمٍ. وكانت ثمرة أشكالٍ بشعة على يمين وعلى يسار هذا الشخص، وكنتُ أسيرُ خلفه ماسكا بطرف ثوبه وخائفا من الأشكال البشعة. ثم شاهدت في الحلم الثاني علبة شفاقة مثل الزجاج. حاولتُ كلُّ الأشكال البشعة أن تهاجمني فمنعتهم العلبة من الوصول إلي. وفي الحلم الثالث والآخر، شاهدتُ نفس الشخص الذي كان في الحلم الأول ونفس الأشكال البشعة ولكن في هذه المرة لم أكن أسيرُ خلفه بل كنت في يديه. وعندما كنتُ أفتح عيني في الحلم، كنتُ أشاهد وجهها يُشع بالطمأنينة والسلام. عندما أستيقظت سيطرت كلماتٌ قوية على ذهني وكأن شخصا يتكلم معي بالكلمات التالية: هذا هو الفرق بين النعمة والاعمال. إن أردت أن تتبني بقوتك فعندئذٍ ستتعبُ ولن تستطيع أن تكمل المشوار، ولكنك إن كنت في المسيح فعندئذٍ سأحملك. وهذه هي النعمة. وجودك في المسيح يحميك من كل الشرور. لقد حطمت هذه الكلمات الحصون الفكرية التي تقفُ أمام قبولي الكامل لتبعية المسيح من كل القلب ومن كل الفكر.

غيرني المسيح وصنع مني تلميذا له. فتوقفت عن عاداتي السيئة وكلماتي القبيحة وبدأت بالشهادة عن المسيح. وبسبب تمسكي بالمسيح، اشتركت مع الكنيسة الفلسطينية في محاربة الكراهية مؤكدا على أهمية محبة كل إنسان حتى وإن كان عدوا لله أو للناس لأنه هكذا أحب الله العالم الخاطيء غير المستحق حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به. وتعبيرا عن إيماني بالسيد المسيح، حاربت الظلم ناشرا تعاليم السيد المسيح عن العدالة والمحبة الإلهية التي ليس لها نظير أو مثيل. وكان لي الشرف أن اشترك مع ممثلين من الكنيسة الفلسطينية في كتابة وثيقة وقفة حق مؤكدا شر الاحتلال وأهمية نشر العدالة من خلال حضور الكنيسة وشهادتها.¹²

¹² للمزيد من المعلومات راجع كتابي الأخير الذي نشرته باللغة الإنكليزية. Yohanna Katanacho. The Land of Christ: A Palestinian Cry (Bethlehem: Bethlehem Bible College, 2012).

في الختام، أشكرُكم على حُسن اصغائكم وأخص المقال بكلمةً بسيطةً: المسيحُ هو الإنجيلُ والكنيسة التي تتمسك بالمسيح وتتبعه هي الإنجيلُ. ولقد قدمت لكم الإنجيلَ في خمس نقاطٍ: المعنى الإشتقائي، والأدبي، والكتابي، واللاهوتي، والشخصي. وصلاتي أن تكون الكنيسة في الشرق الأوسط خيرا سارا وليس نذير شؤم لأحبائنا واصدقائنا من الديانات الأخرى. بارككم الله باسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.